دور شعراء مدينة عدن في الوحدة اليمنية

كانت اليمن المتوكلية تعيش حتى سبتمبر من عام ١٩٦٢ تحت نظام استبدادي شديد التخلف بحيث كان الاحرار من شعراء ومفكرين يضطرون الى اللجوء الى عدن التي كانت قد بقيت تحت الحكم البريطاني حتى عام ١٩٦٧. فعلى الرغم من وجود الاستعمار في الجنوب، إلا أن أحرار الشمال كانوا يجدون بعض المتنفس فيها، وكان الانجليز يسمحون بشيء من الحرية للصحافة الوطنية، التي انتهزت ظروف الحرب العالمية ورغبة بريطانيا في كسب العرب قي معركتها ضد دول المحور فأطلت أولا في شكل صحيفة "فتاة الجزيرة" التي أنشأها المحامي المناضل محمد علي لقمان ثم ظهرت صحف عدة تمثل تيارات متباينة وان كان يجمع بين معظمها الهم الوطني والرغبة في التحرر.

بقلم: د. شهاب غانم/ دبي

أنشأ لقمان صحيفته عام ١٩٤٠ وكان على علاقة واسعة وشخصية مع رجال التنوير أمثال الامير شكيب إرسلان الذي كتب مقدمة أحد كتبه والمهاتما غاندي الذي نصحه بدراسة القانون وانشاء صحيفة وعبد العزيز الثعالبي ومحمد على الطاهر ومحمد كرد علي وعلي أحمد باكثير والفيلسوف برتراند رسل وغيرهم.

وكان الانجليز قد فصلوا لقمان من وظيفته اذ كان مدرسا، لأنه كتب في إحدى الصحف الصادرة في الهند مقالا باللغة الانجليزية ينتقد فيه سياسة الانجليز، وعلى الرغم من أن المقال ذيل باسم مستعار، إلا أن مخابراتهم كشفت اسم الكاتب الحقيقي.

وفتحت "فتاة الجزيرة" صدرها للأحرار اليمنيين القادمين من الشمال من أمثال الشاعر محمد محمود الزبيري الذي كان يلقب بأبي الاحرار، والاستاذ احمد محمد نعمان والشاعر زيد الموشكي والشاعر احمد بن محمد الشامي والشاعر علي عبد العزيز نصر وكان هؤلاء مشغولين بقضية الظلم في الشمال واستبداد الامام يحيى بن محمد حميد الدين في المقام الاول في كتاباتهم.

وفتحت الصحيفة صدرها لكتاب عدن وحضرموت وعلى رأسهم الشاعر السيد محمد عبده غانم وكان أول خريج جامعي في المنطقة، وهو الذي أدخل التيار الرومانسي الى الشعر في اليمن كما ذكر ذلك د. عبد العزيز المقالح وغيره من النقاد. وكان من أهم كتاب الصحيفة بل مدير تحريرها الشاعر علي لقمان النجل الاكبر للمحامي محمد علي لقمان وكان قد تخرج في مجال الصحافة من القاهرة، وكانت تجمعه معرفة وصداقة ببعض كتابها وشعرائها أمثال مصطفى وعلي أمين وأحمد رامي. ونشر قصائده في الصحيفة ذاتها الشاعر الرومانسي الرقيق لطفي جعفر أمان تلميذ السيد غانم وكان قد درس في السودان. وكان من الشعراء البارزين في عدن محمد سعيد جراده، وادريس حنبلة، وعبد الله هادي سبيت من منطقة لحج المجاورة، كما كان الاديب الشاعر والروائي المسرحي على أحمد باكثير يزور عدن ويكتب فيها أحيانا وتربطه بلقمان آلاب صداقة وطيدة ومن شعراء عدن المعروفين في تلك الأيام أيضا عبد المجيد الاصنج وأحمد حامد جوهري ومحمد حسن عويلي.

كان الشعر في عدن قبل غانم ورفاقه تقليديا، وكان أمثال الشيخ احمد العبادي والشيخ محمد سالم بيحاني ومحمد علي لقمان يدعون الى الاصلاح وينظمون القصائد في المناسبات الدينية. وقد بدأت ملامح التغيير في الاساليب الشعرية على أيدي عبد المجيد الأصنخ والسيد غانم ورفاقه متأثرين بحركة الاحياء في مصر وكذلك حركة أبولو والديوان وشعراء المهجر. ولكن ذلك لا يعني أنهم كانوا لا يشاركون بقصائدهم في بعض المناسبات الدينية منتهزين تلك الفرص للدعوة للنهضة والحرية الفكرية، فقد كانوا متأثرين أيضا بفكر الامام محمد عبده، وبالثورة الفرنسية واعلام الفكر الغربي وشعراء مصر والعراق وسوريا ولبنان.

ولا شك أن شعراء عدن كانوا من أوائل من رسخ في أذهان الناس أن عدن جزء من اليمن ملتجئين غالبا الى الحديث عن أمجاد سبأ وحمير، وان عدن جزء من ذلك التراث، فقد كانوا يضطرون الى ذلك في نظري لسببين: أولهما أن الحكم الامامي في اليمن كان في نظرهم أشد سوءاً من الوضع في عدن فمن الصعب الدعوة للوحدة معه وهو في تلك الحال المخيفة من التخلف، وثانياً لانهم كانوا كلهم أو جلهم من الموظفين الحكوميين في سلك التدريس وكان الاستعمار لا يسمح للموظفين بأي نوع من العمل السياسي. يقول محمد عبده غانم في قصيدته "على الشاطىء المسحور" وهو على شاطىء "صيرة" في عدن:

وهذه "صيرة" في الأفق ماثلة
وحولها البحر بالأمواج يصطفق
هنا على الشاطىء المسحور قد عمل
الاذواء من "حمير" للمجد واستبقوا
كانوا ملوكا تهاب الناس دولتهم
فلم يجوروا بهم في الحكم بل رفقوا
كانوا اذا خرجوا في موكب خرجت
من الصنانيد تمشي خلفهم فرق
في سفح "شمسان" جمع من مآثرهم
شهود عدل اذا ما حدثوا صدقوا

و"شمسان" هو أعلى جبل في عدن فلذلك اتخذه غانم رمزا لعدن في كثير من قصائده. وتمضي القصيدة في التغني بالماضي المجيد الى أن يقول:

تلك الرجال اذا فاخرت لانفر
من الصعاليك لا بزّوا ولا سبقوا
ولا دروا كيف يبنى المجد أو فهموا
ان الحياة بدون المجد تمحق

وهكذا في قصيدة واحدة يؤكد الشاعر على يمنية عدن وهو يعمل موظفا في ظل الاستعمار وفي نفس الوقت يدين الحكم الاستبدادي المتخلف في الشمال وأيضا في المحميات الجنوبية من خلال مقارنة الحاضر بالماضي.

ويفعل غانم مثل ذلك في كثير من قصائده وعلى رأسها ملحمته "قصة الامواج" الذي ينهيها بحديثه الموجه الى البطل القومي سيف بن ذي يزن مخلِّص اليمن من الاستعمار الحبشي (المعادل الموضوعي للاستعمار البريطاني):

يا سيف ذي يزن لقد أبليت في
طلب الخلاص لهذه الاوطان
فاجلس على عرش الجدود فانه
عرش القلوب الثابت الاركان

وعبارة "عرش القلوب الثابت الاركان" ذات دلالة خاصة على ايمانه بالوحدة كما أخبرني رحمه الله قبل الوحدة بأربعين سنة فقصائده أعلاه تعود الى الثلاثينات ومطلع الاربعينات.

أما الشاعر علي لقمان ولعله الوحيد الذي لم يكن موظفا حكوميا فكان يكتب بحرية أكبر فيقول في احدى قصائده السياسية وهو يخاطب عدن وكأنه يخاطب محبوبة في قصيدة غزلية:

خطرات قدك أم رماح أبيك — **مزقن قلب العاشق المنهوك**
نشر الصبا في مقلتيك شعاعه — **فسرى ضياء الحب في واديك**
يا بنت معتنق الصوارم والقنا — **تا الله ما هذا "الغليظ" ابوك**

انه يقول لعدن ان هذا الاستعمار الغليظ والبغيض لا يمكن أن يكون أباها الحقيقي ثم يقول بوضوح:

عربية الاجداد أين عروبة — **كانت من الشر المقيت تقيك؟**

وعلي لقمان الذي حاول منافسوه وخصومه السياسيون تحريف معنى دعوته "عدن للعدنيين" والتي كان يناوىء بها الاستعمار الذي كان يعمل على قدم وساق على تجنيس الاجانب من اسيويين هنود وغيرهم ليطمس عروبة عدن فادعوا أنها دعوة انفصالية عن أجزاء الجنوب الاخرى هو نفسه الذي قال في قصيدة "الوحدة الواحدة" المنشورة في ديوان "انات شعب" الصادر عام ١٩٦٢ م.

اذا "عولقي" أنَّ أنَّت وان شكا — **فتى "عوذلي" رحبت بالعواذل**
وان ناح فيها "يافعي" مسهد — **يسهد جفنيها نواح القبائل**

بكى "عبدلي" من عدات فمزقت — **جوانحها الحرى دموع العبادل**
وضج "دثيني" فضجت توجعا — **وفي أهل "فضل" حبها للافاضل**
وصاح "ابن بيحان" فصاحت مكانة — **أصيبت بسهم في الملمات قاتل**
وكم طلبت في "حضرموت" مكانة — **لابنائها في وجه سر الغوائل**
يوحدنا انا بلاد وأمة — **وان اغضب التوحيد كل البواطل**

أما الشاعر لطفي أمان فيقف أمام الصهاريج الشهيرة في عدن فيتغنى:

هنا... هنا
في هذه الاسداد من أرضنا
يرفق بالامجاد تاريخنا
فتغسل الاضواء آفاقنا
وتنتشي غناء أيامنا
في حقبة غراء من دهرنا..

وفي قصيدة أخرى يقول وهو هنا يبدأ بعدن وصنعاء ثم ينطلق الى العواصم والمدن العربية وكأنه يقول ان الوحدة اليمنية خطوة نحو الوحدة العربية الكبرى:

يا لأرض القدس يحمي قدسها ألف نبي
يا لنهر النيل يروي كل قلب عربي
يا بلادي .. يا بلادي .. يا بلاد العرب
ديار ديار اليمن
ومن سفح صنعاء حتى عدن
وهبنا لك الروح قبل البدن
وقلَّت لك الروح منا ثمن

ويقول في قصيدة "في سبيل الوحدة اليمنية" عام ١٩٧٣:

الاهل أهلي والبلاد بلادي — **يمنية في حاضر أو بادي**
لا فرق بين "عبادل" و"عواذل" — **و"بكيل في التاريخ والميلاد**
او بين "شمسان" الاشم وصنوه — **"ردفان" أو "ضوران" في الاطواد**
حييت يا وطني الحبيب ولم تزل — **وطن الكرام الصيد من شداد**
لك في النفوس مكانة قدسية — **رفعتك فوق النفس والاولاد**

أما علي لقمان فيقول في احدى قصائده يخاطب علم الجمهورية اليمنية في الشمال في ذكرى ثورة ٢٦ سبتمبر وقد نشرها عام ١٩٧٣:

وجدد العهد للاجيال في "سبأ" — **فمن هنا أشرق التاريخ يبتسم**
وطيب الامل المرجو في وطن — **مهد الحضارة في أرجائه حرم**
واحرس خطى "تبع" في موكب ألق — **نجومه الزهر في الافاق تزدحم**
هدى وكل قبيل في الضلال هوى — **وضاء والظلم شرع الأرض والظلم**
ووحد اليمن الميمون في زمن — **كل بما كسبت يمناه منسجم**
من عهد "بلقيس" هذا الشعب منتظر — **من يجمع الشمل في عز فيلتئم**

وقد انتظر علي لقمان ورحل رحمه الله عام ١٩٧٩ قبل تحقيق الوحدة.

أما الشاعر محمد سعيد جرادة فقد كان في العادة يتحدث في قصائده عن انتصار ثوار الجنوب على الاستعمار ولكنه في قصيدة "اليمن" المؤرخة عام ١٩٧٤ يقول بوضوح داعيا الى الوحدة متحدثا عن اليمن الكبير:

شهداؤك الابطال قد رفعوا — **فوق النجوم لشعبك العلما**
سل عن ملاحمهم "ظفار" وسل — **"شمسان" أو "ردفان" أو "نقما"**
ستطل شمس غد على بلدي — **فياضة بالخصب والرغد**
وطلائع التحرير ما فتئت — **تحميه من غاز ومضطهد**
المجد لليمن الكبير اذا — **ابناؤه ساروا يدا بيد**

أما الوحدة العربية التي كتب عنها شعراء عدن كثيراً، فيكفي أن نشير الى قصيدة لغانم بعنوان "الوحدة العربية" نالت جائزة عالمية عام ١٩٤٢ من هيئة الاذاعة البريطانية عندما كانت بريطانيا توهم العرب أنها تؤيد وحدتهم ومنها:

ان يوما يعود فيه الى العرب اتحاد الجدود يوم عجيب
يوم يمشي ابن الرافدين ببيروت وصنعا فلا يقال غريب

وقد تحققت الوحدة اليمنية بعون الله، فعسى أن تتحقق الوحدة العربية، ونحن نرى اليوم الوحدة الاوروبية تتحقق أمام أعيننا على الرغم من التباينات بين الدول الاوروبية في الجنس واللسان.

والحقيقة أن كل شعراء عدن كتبوا عن الوحدة العربية وعن القضية الفلسطينية. وأما الوحدة اليمنية فقد كتبوا عنها كثيرا بعد زوال الاستعمار وكان الحكم الامامي قد زال قبله بينما تلكأ السياسيون في الحكم الشمولي فلم يمضوا الى الوحدة الا عام ١٩٩٠ بعد زوال الاتحاد السوفييتي وسقوط سور برلين. يقول الدكتور محمد عبده غانم في نشيد "دياري" عام ١٩٧٢ ولم يكن السياسيون في الجنوب يستسيغون مثل هذه الدعوة في واقع الامر:

النباتات الطبية وإشكالية التداوي بالأعشاب

1 - 2

لمحة تأريخية موجزة:

لطب التداوي بالأعشاب تأريخ طويل منذ القدم، غير أن القرون الأخيرة للإسلام شهد روحا مبدعة ونظرة علمية وعقلانية أسهمت في تطور وإزدهار هذه المهنة، وتحققت إنجازات كبيرة على إيدي علماء المسلمين أبرزهم؛ الرازي (٨٦٥-٩٣٧) وأهم أعماله "الحاوي في علم التداوي"، إبن سيناء (٩٨٠-١٠٣٧) وأهم أعماله "القانون في الطب" وإبن البيطار (١١٩٧-١٢٤٨) وأشهر مؤلفاته "الجامع في الأدوية الفردية". وقد جمع علماء طب التداوي بالأعشاب المسلمين بين عدة تخصصات هي الطب، الصيدلة، علم النبات والكيمياء حيث كانوا يقومون بتحديد علاجات الأمراض وتوصيف النباتات الطبية وإجراء التحاليل الكيميائية للمواد الفعالة في هذه النباتات بالإضافة إلى إختبار وتحديد التركيزات المثلى لهذه المواد والتأثيرات الفسيولوجية والجانبية لها. كما طور علماء الطب المسلمين أرقى نظاما طبيا فعالا ، إنتشرت توصياتهم إلى بقاع مختلفة من العالم، حتى بات التداوي بالأعشاب جزءا من ثقافة المجتمع فأطلق عليه الطب الشعبي والذي بلغ مستوى راقي في التعامل مع العمليات المختلفة من جمع، وتحضير وطحن وإستخلاص للنباتات الطبية.

د. يحيى عبد الله الدويله *

التقدم العلمي للطب الحديث قام على أكتاف إنجازات التراث الطبي الإسلامي بعد إختفاء فئة العلماء والباحثين والعطارين:

غير أن الحال لم يدم طويلا حيث أن هذا النظام أنهار بإختفاء فئة العلماء والباحثين المشتغلين في هذا المهنة والتي كانت على رأس الهرم المهني، ولم يبقى منهم سوى فئة العشابين (جامعي الأعشاب الطبية) والعطارين (البائعون) والذين حافظوا قدر الإمكان على التراث الطبي بالتوارث أبا عن جد حتى وصل إلينا في صورته الحالية وتفاوت مستوى التعامل مع هذه المهنة من بلاد إلى بلاد ومن قطر إلى آخر، وفي اليمن كان لها وضعها الخاص، حيث طوى مهنة التداوي بالأعشاب النسيان حيث تقلصت عملية التداوي بالأعشاب.

على أن هناك حقيقة مفادها أن مايسمى "بالتقدم العلمي للطب الحديث" قد قام على أكتاف التراث الطبي الإسلامي من خلال حركة ترجمة واسعة لمعظم وأهم الأعمال الطبية لرموز علماء المسلمين في هذا المجال، وقد ساعدت الثورة الصناعية على تطوير تقنيات عالية الدقة لطرق الإستخلاص والتنقية الكيميائية للمواد الفعالة للنباتات الطبية، وأدت كفاءة التنقية لهذه المواد إلى وضعها في شكل أقراص، دهانات وحقن لتكون أكثر عملية في النقل والتداول تتناسب مع الإستخدامات الحديثة للأدوية وأطلق عليها " الأدوية أو المستحضرات الطبية" وبذلك نشأت ما يسمى " بالفجوة بين الطب الشعبي والطب الحديث" وإتسعت المسافة بينهما كما إنقطعت الصلة بينهما.

إن الطب الحديث هو شكل متطور للطب الإسلامي القديم وفي جوهرة لا يتعارض أو يختلف معه حيث أنه إمتداد له، لكن ما يميز الطب الحديث إنه إبتدع آليات عمل جديدة بظهور شركات الأدوية الإحتكارية والتي تفننت في إبتداع أساليب تجارية حديثة إستهدفت حماية حقوق الملكية وبراءات الإختراع كما أدخلت السرية والتسميات التجارية وحق الأمتياز والإحتكار بهدف تحقيق أكبر عائد ربحي لها، وتوثقت العلاقة بين هذه الشركات ومراكز البحث العلمي للحصول على نتائج علاجية للأمراض المستعصية والجديدة. وفي المقابل بدأ العلاج التقليدي بالأعشاب يتراجع أمام تطور الطب الحديث والمنافسة القوية لهذه الشركات والتي إكتسحت أدويتها ومستحضراتها الطبية التجارية أسواقنا المحلية، وقد ساعد على ذلك توقف حركة الإبداع في مجال طب التداوي بالأعشاب والذي أقتصر العمل فيه على الفئات الشعبية التي لا تحمل الشهادات الجامعية أو العليا وإستمرت في العمل على نفس الخبرات المتراكمة.

إستعداد وقبول شعبي واسع لتفعيل وتحديث طب التداوي بالأعشاب لدى معظم فئات المجتمع شريطة إجراء عدد من الإصلاحات الجوهرية في مجال المهنة:

لكن هذه الفترة شهدت إنتعاشا وعودة إلى التراث الطبي القديم وتجري حاليا عملية محاولات إستعادة المكانة الحقيقية التي تبوأت فيها هذه المهنة في السابق، ويمكن القول وبشكل عام إن هناك إستعدادا وقبولا شعبيا واسعا لتفعيل وتحديث طب التداوي بالأعشاب لدى معظم فئات المجتمع بمختلف مستوياتهم الفكرية على هاجس ما كان يمثله من قيمة وأسلوب ناجح وغير مكلف، بالإضافة إلى فوائده الكثيرة.

لكن علينا أن ننظر للمسألة من جوانبها المختلفة حيث لم تعد الأمور بنفس المكانة السابقة والتي كانت فاعلة في تلك الحقبة الزمنية إذ لا بد من العمل على إدخال آليات عمل جديدة وإجراء عدد من الإصلاحات الجوهرية في مجال المهنة. ولذا فإن مهمتنا الأولى هي تقييم الوضع الراهن للطب الشعبي- التداوي بالأعشاب، والكشف عن المفاهيم والآليات الجديدة وسننظر فيما بعد في دور المؤسسات الحكومية المختلفة في وضع آليات جديدة لتفعيل وتحديث المهنة، وسنحاول في الحالات الثلاث توضيح الآثار التي خلقتها المفاهيم البديلة والخاطئة وبعض الممارسات أيضا والتي شوهت تقديم هذه المهنة بالصورة السليمة.

إرتكاب بعض العطارين سلسة من الأخطاء بسبب عدم المعرفة وغياب المنهاجية الصحيحة في بعض الأحيان وضع مهنة طب التداوي بالأعشاب في مأزق:

إذن دعونا أولا نلقي نظرة على الوضع الراهن والنمط السلوكي للفئات الحالية والتي تمارس عمليا هذه المهنة، وكما أشرت بعد إختفاء فئة العلماء والباحثين في مجال الطب التداوي بالأعشاب، إقتصر الأمر على فيئة العشابين والعطارين والحقيقة هناك نمطان في سلوكيات العطارين؛ الأول: يكتفي بما تم إكتسابه من خبرات متراكمة ولا يتجاوز الأمراض التقليدية أو المعروفة، والثاني: لا يكتفي فقط في توصيل هذه الخبرات المتراكمة ولكن يجتهد ويرغب في إختبار وإكتشاف أنواع عشبية جديدة أيضا يقوم بترويجها في علاج بعض الأمراض المستعصية لم يسبق التعامل معها فحسب بل أيضا لم يتوصل اليها الطب الحديث نفسه، وبسبب حدود المعرفة والقدرة والمؤهلات والإمكانيات التجريبية فأن هذا النمط السلوكي وضع مهنة التداوي بالأعشاب في مأزق.

لقد تسنى لنا رصد سلسلة من الأخطاء في ممارسات العطارين في استخدامات العلاج بالأعشاب بسبب عدم المعرفة أحيانا، أو الخداع والغش كما كما هو جاري في علاجات بعض العيادات الصحية حينما يتم إستغلال ضعف المرضى بهدف الربح والكسب السريع، من هذه الممارسات عدم التمييز بين أجزاء النبات المحتوي على المادة الفعالة للعلاج إوعدم القدرة على تحديد المواد الفعالة والمقادير المطلوبة الكافية للعلاج حيث أن قلة المقادير أو زيادتها يمكن أن تكون له نتائج عكسية. بالإضافة إلى عدم إدراك أن الأعشاب منها ماهو ضار ومنها ماهو سام لذلك يمكن أن يؤدي عدم القدرة على التمييز بينهما إلى كارثة. ليس هذا فحسب بل يتم أحيانا خلط أدوية في الخلطة العشبية مثل المهدئات وأحيانا أدوية تحتوية مكونات أزوتية تؤدي إلى مشكلات في القلب، وأطرف ما في الموضوع أن بعضهم يتخذ من الأعضاء النباتية الشبيهة بالأعضاء التناسلية إفتراض أنها علاج لأمراض الضعف الجنسي. إن معظم العطارين يلجأون إلى الكذب والزيف بهدف إخفاء عدم المعرفة من خلال تضخيم المنافع وأدعاء شمولية العلاج.

طب التداوي بالأعشاب له فوائد عديدة أهمها تجنيب المريض التأثيرات الفسيولوجية الجانبية الناتجة عن إستخدام الأدوية المصنعة كيماويا:

إن مفهوم الطب الشعبي يعني عندما تتحول توصيات العلماء والباحثين إلى قناعة شعبية فلا تكون هناك حاجة إلى طبيب أو وسيط لتحديد المرض والعلاج، كأن يكون المواطن مثلا على دراية أن الكاكاو مفيدا في تخفيض ضغط الدم. لقد أفرزت تطبيقات طب التداوي بالأعشاب وجهتي نظر الأولى تنادي بالعودة إلى العلاج بالأعشاب لما لها من فوائد عديدة أهمها تجنيب المريض التأثيرات الفسيولوجية الناتجة عن إستخدام الأدوية المصنعة كيماويا فنعالج مرض وتظهر أمراضا أخرى، والثانية ترى أن طب التداوي بالأعشاب لم يعد سوى ماضي لا رجعة فيه، حيث لا يمكن التخلي عن إنجازات العصر، وفي رايي أن تخوفات الرأي الثاني تعود إلى التشوهات التي لحقت بالمهنة من جراء عدم المعرفة والتحايل عند تطبيقات طب التداوي بالأعشاب.

لكننا نجد أنفسنا أمام ثلاث حالات: هناك أمراض تقليدية مألوفة وعلاجها إيضا معروف مثل الإسهال، الإمساك، الزكام، الحمى وغيرها، والحالة الثانية: أمراض مستعصية وهي أيضا إما معروفة العلاج أو أمراض لم يتم التوصل بعد إلى علاج حتى يومنا هذا، والحالة الثالثة هي ظهور أمراض جديدة لم يتم التعرف على مسبباتها ولم يكتشف علاجها. لذلك يقوم العمل البحثي على السرية حيث تقوم مراكز البحوث العلمية بإجراء إختبارات لعدد من العقاقير وفقا لأسس علمية ومنطقية.

الأخلاقيات والقيم الإسلامية لا تسمح باستخدام الإنجازات الطبية كوسيلة تجارية بل تجعله واجب على كل مسلم قادر:

والواقع إن الحالة الأولى تعتمد على التراكم المعرفي المتوارث، ولا ضرر في ممارسته على الصعيد الشعبي وتحديدا عندما تتحول مخرجات الطب إلى ثقافة فاعلة للمجتمع، وتصبح الخبرة والتراكم المعرفي تقليدا وواقعا يتم إكتسابه بسرعة. ولكن الأمر يختلف بالنسبة للحالات الأخرى والتي لم يتوصل العلم نفسة إلى نتائج حاسمة، وبالتالي لا أحد يريد أن يبدو ساذجا أو أحمقا لاننا نخدع أنفسنا إذا ما أعلن أحدهم عن إمتلاكه توليفة عشبية لعلاج عدد من الحالات المستعصية كالسرطان والأيدز وأمراض القلب والسكري. فيصدقه الكثيرين وخصوصا أولئك الذين ليست لديهم خيارات علاجية أخرى أو بسبب عدم القدرة على دفع تكاليف العلاج أو أن المرض نفسه لا علاج له وليس أمامهم ملاذ سوى اللجوء إلى أولئك المدعين بإمتلاكهم العلاج الصائب والشامل.

ويستغل الكثيرين موقعهم الديني لما يمثله من جواز مرور لدى الفئات الشعبية في إدعاء إكتشاف علاجات ذات قدرة في التغلب على الأمراض المستعصية، ونحن لا نستطيع أن نقف ضد إي محاولات من هذا القبيل طالما لا توجد ضوابط وآليات تقفهم عند حدهم. لكن في الوقت نفسه تواجهنا في هذه المسألة عقبة مهمة حيث أن أولئك يعربون عن مخاوفهم من التعدي على حقوق الملكية الفكرية حيث أن البلد تفتقر إلى وجود آليات إقرار التراكيب الدوائية الجديدة، ونحن في ذلك نؤيدهم أشد التأييد ومقتنعين إلى أن الآوان قد حان في تنظيم آليات العمل في هذه المهنة النبيلة، بالرغم من أن الأخلاقيات والقيم الإسلامية لا تسمح باستخدام الإنجازات الطبية كوسيلة تجارية بل تجعله واجب على كل مسلم قادر.

وعليه فأن من يدعي بإمتلاكة إي إكتشاف طبي أن يجعله في خدمة المجتمع، بالرغم من قناعتنا بإستحالة الوصول إلى نتائج حاسمة في علاج الأمراض المستعصية ما لم تكون ثمرة جهود أبحاث معملية، وهي الحلقة الأولى تتبعها سلسلة من الإجراءات أكثرها تعقيدا الرغبة في إحتكاره وأسهلها عندما يكون الهدف صحة المجتمع. ولتخرج المهنة من إطارها الضيق ولتبقي إخلاقيات ومضمون الإسلام القائم على إستبعاد مبدأ الكسب والإستغلال بدلا من السعي نحو مجتمع سليم، صحيح أن التجارة حق مشروع لكن حينما يتجاوز الأمر إلى حد المتاجرة بأرواح الناس يكون ذلك على حساب قيم وأخلاقيات الإسلام.

---

* باحث زراعي – فسيولوجي نبات
محطة أبحاث إقليم المرتفعات
الجنوبية – تعز